العقرب الجهنمي

محمود سالم

العقرب الجهنمي

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

العقرب الجهنمي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٨٦١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الوقوع في الفخ!	١١
العقرب الجهنمي!	١٧
العدو المجهول!	٢٣
معركة بحرية!	٢٩
خطة مضادة!	٣٣
الخدعة!	٣٩
حرب الشياطين!	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الوقوع في الفخ!

كانت قاعة الآثار المصرية القديمة في متحف «المتروبوليتان» في نيويورك، مكتظةً عن آخرها بجمهور الزائرين، هذا بخلاف الطابور الذي امتدَّ للخلف مسافة ثلاثة كيلومترات.

لهذا قرَّرت إدارة المتحف أن تكون مدة الزيارة عشر دقائق فقط لكل مجموعة؛ حتى تتيح الفرصةَ لكل المشاهدين أن يرَوا هذا الحدث الغير عادي؛ فالأمريكيون مولعون بكل ما هو عجيب وغريب، خاصةً وأنه شعبٌ حضارته لا تزيد عن أربعمائة عام، والأمريكيون لا بد وأن يفتنهم ويخلب لبهم تلك الآثار القادمة من وادي النيل، والتي يزيد عمرها عن خمسة آلاف عام.

كانت مجموعة الآثار المعروضة غير عادية ... فإلى جانب الحُلِي والأواني، وحتى المقاعد والمناضد المصنوعة من الذهب الخالص، كانت هناك التوابيت المُذهبة الرائعة النقوش، والتماثيل التي تُصوِّر بعض الآلهة الوثنية التي عبدها المصريون القدماء منذ آلاف السنين ... وكلها تنطق ببراعة الفنان الذي صنعها ... كان ذلك اليوم هو الأخير في أيام المعرض ... وبعدها ترحل مجموعة الآثار عائدةً إلى مصر؛ لتستقرَّ في مكانها داخل متحف الآثار ... بعد انتهاء جولتها التي استغرقت ستة شهور داخل الولايات المتحدة الأمريكية ...

في كل مكان كانت تستقر فيه تلك الآثار الثمينة، كان أهل الولاية أو المدينة تنتابهم سعادة غامرة؛ فيرتدون الملابس المطبوع فوقها صورة ملوك الفراعنة، مثل: «توت عنخ آمون»، و«كليوباترا»، و«نفرتيتي» ... أو القبعات التي رسُمت فوقها أشكال ونقوش فرعونية ... وينتعلون نفس النوع من الصنادل ... والبعض منهم يحسب نفسه سعيد الحظ إذا تمكَّن من اقتناء جعران أو حلية مقلدة قادمة من مصر ...

لذلك ما إن أُعلِن إغلاق المتحف في المساء، حتى بدا حزن شديد على الذين لم يُسعدهم الحظ بدخول المعرض ورؤية تلك الآثار ... وانصرفوا ساخطين لضياع تلك الفرصة الأخيرة.

ما إن أغلق المتحف أبوابه الحديدية الضخمة حتى تحصَّن الحُرَّاس خارج المتحف في كل الأركان بأسلحتهم الخفيفة السريعة، على حين كانت هناك ثلاث دوريات لرجال الشرطة، تجوب المنطقة التي مُنع عنها المرور ...

أمَّا داخل المتحف فكان نظام الحراسة يعتمد على أحدث ما وصل إليه العلم في تأمين الأماكن الخاصة من السرقة ... فعلاوةً على أشعة الليزر التي تغطِّي المكان بحيث إنَّ أي اختراق لها من جسم بشري كفيل بإطلاق صفارات الإنذار، كانت هناك أيضًا عدسات تليفزيونية سرية تراقب كافة أنحاء المتحف، وكذلك موجات كهرومغناطيسية تعمل كدوائر مفتوحة، ما إن يقترب منها أي جسم بشري حتى تنغلق لتُطلَق صفارات الإنذار بدورها، هذا بالإضافة إلى عشرات الحُراس المبثوثين في كل مكان داخل المتحف.

كان من المستحيل سرقة المتحف ... خاصةً مجموعة الآثار المصرية القديمة التي تمَّ التأمين عليها بمبلغ «مائة مليون دولار»، والتي لا تُقدَّر قيمتها التاريخية بكل أموال الدنيا ... وهكذا راحت ساعات الليل تمر في بطء شديد لتستقبل صباح اليوم التالي، حيث تغادر تلك الآثار الولايات المتحدة الأمريكية عائدةً إلى وطنها مرةً أخرى.

كانت الحراسة في اليوم التالي على أشدها؛ فقد راح الفنيون المختصون ينقُلون الآثار الفنية في حذر وحيطة، داخل سيارات مصفحة يستحيل اختراقها، أو حتى نسفها بالقنابل ... وكان هناك أيضًا العشرات من رجال الشرطة المُسلَّحين بالمدافع الرشاشة يحيطون بالمكان، ويمنعون أي مخلوق من الاقتراب منه.

بالرغم من ذلك فقد كانت هناك عينان أطلَّتا من بناية بعيدة عالية، وراحتا تراقبان ما يدور بأسفل من خلال نظارة مُقرِّبة في اهتمام بالغ.

عندما انتهى نقل الآثار داخل السيارات المُصفَّحة، أزاح صاحب النظارة المُقرِّبة عدساتها عن عينَيه اللتَين التمعت فيهما نظرة خبيثة ماكرة ... نظرة لو شاهدها نصف رجال شرطة نيويورك لأصابهم الرعب ... ولو تعرَّف نصفهم الآخر على شخصية صاحبها ... لَمَا أُغمِض لهم جفن ليالي عديدة.

كان صاحب تلك النظرة هو «كارلوس فيفا»، الرجل الذي تبحث عنه نصف شرطة العالم؛ لِجرائم أقلها النسف والقتل والتدمير ... حيث كان ينتظره حكمٌ بالإعدام من أكثر من ثلاثين دولةً على الأقل.

عندما بدأ طابور السيارات المُصفَّحة في التحرك، تتقدَّمه سيارات الشرطة، وراكبو الدراجات النارية السرية، وخلف السيارات المُصفَّحة كانت هناك قوة مماثلة للتأمين ...

عندما تحرَّك الطابور مخترقًا شوارع عاصمة ناطحات السحاب في العالم، غادر «كارلوس» مكانه أيضًا ... واستقلَّ المصعد من أمام باب شقته إلى الدور الأخير، ثم خطا فوق سطح البناية الشاهقة الارتفاع، وعلى الفور حلَّقت طائرة عمودية فوق المبنى، وألقت بسُلَّم من الحبال المتينة، التقطه «كارلوس» وتسلَّقه إلى داخل الهليكوبتر، التي انطلقت جهة الشمال ... وكان ذلك هو نفس الاتجاه الذي سارت صوبه قافلة السيارات المصفحة ...

اخترقت القافلة الشوارع المزدحمة، وعبرت كوبري «مانهاتن» الشهير المُعلَّق فوق سطح الماء بجدائل من الصُّلب ... ثم انطلقت صوب المطار القريب ... كان الطريق يمر عبر بعض الأراضي الزراعية ذات الكثافة السكانية القليلة ... وكان المطار المختار قليل الحركة ... تستخدمه بعض الشركات التجارية الخاصة بعيدًا عن صخب مطار «كنيدي» الذي تهبط فيه أو تُقلع منه طائرة كل نصف دقيقة ... كان المطار لا يزال على مسافة نصف ساعة ... وفوق أرضه طائرة خاصة تربض مستعدةً للطيران، وحولها عدد هائل من رجال الشرطة ...

لكن شِحنة الآثار الثمينة لم يكن مُقدَّر لها أن تصل إلى المطار أبدًا ... ذلك لأن «كارلوس فيفا» كان يربض هناك في مكان ما ... ينتظر اللحظة الملائمة للظهور ...

كان ظهور «كارلوس فيفا» في أي مكان يعني أن جريمةً ما لا بد أن تقع ... ولم يحدث مرةً واحدة ... أن غادر «كارلوس» مكان جريمته فاشلًا.

اقتربت قافلة السيارات من كوبري صخري قديم كانت تمر بأسفله قناة مائية صغيرة تروي تلك الأراضي الزراعية على الجانبَين ... ومرقت أولى السيارات المُصفَّحة فوق الكوبري، الذي بدأ يتخلخل وتساقطت بعض أحجاره، فصرخ قائد قوة الشرطة المصاحِبة للقافلة في فزع: توقفوا! إن الكوبري ينهار!

توقَّفت بقية القافلة بفرامل حادة، واقترب قائد الشرطة من الكوبري المنهار وراح يتفحَّصه في دهشة بالغة قائلًا: هذا عجيب ... عجيب جدًّا! فبالأمس فقط مرَّت قافلة شاحنات ضخمة فوق هذا الكوبري، ولم يتأثر بها، فما الذي جعله يتهدَّم بمثل تلك الطريقة؟!

قال أحد رجال الشرطة مُتشكِّكًا: إنني أشم رائحة بارود أسفل الكوبري ...

ألقى نظرةً لأسفل وصاح: ها هي آثار البارود! ... لقد قام البعض بتفجير صغير أسفل الكوبري لخلخلته!

تساءل قائد الشرطة في ذهول: وما معنى ذلك؟!

وجاءه الرد على الفور؛ عندما دوَّى انفجار آخر شديد ... وتهاوى الكوبري لأسفل وقد تحوَّلت صخوره وأحجاره إلى أشلاء، وسقط بعض رجال الشرطة في قلب الصخور المنهارة في قلب الماء ... وصاح قائد الشرطة: تراجعوا للوراء ... فالقافلة تتعرَّض للسطو!

لكن تحذيره جاء متأخِّرًا ... فمن الخلف انفجرت شحنات مماثلة كانت مخفاةً في مهارة على جانبَي الطريق، فنسفت الطريق الأسفلتي وحوَّلته إلى طريق منهار مليء بالحفر والأتربة ... وصاح قائد الشرطة في ذهول: لقد وقعنا في فخ ... لا نستطيع التقدم أو الرجوع!

والتفت حوله في غضب هائل قائلًا: من الذي فعل كل ذلك؟ ... لماذا لم يظهر هؤلاء المجرمون؟

جاءت إجابة السؤال على الفور. جاءت في شكل رصاصة؛ فأصيب قائد الشرطة، فسقط على الأرض دون حراك ...

ثم انفتحت أبواب الجحيم ... عندما أطلَّ عشرات من الرجال المُلثَّمين برءوسهم من داخل الأراضي الزراعية القريبة، وانهالوا برصاصاتهم وقنابلهم اليدوية على رجال الشرطة الذين فوجئوا بالهجوم المباغت ... وتحصَّن رجال الشرطة خلف سياراتهم، ولكن عددهم راح يتناقص، والرصاص يحصدهم حصدًا ... وأسرع بعضهم يتصلون بالرئاسة طالبين النجدة ... وفجأةً توقف سيل الرصاص ... وبدا على المكان هدوء مريب ... وتراجع المهاجمون نحو الزراعات القريبة تاركين المكان ...

تساءل أحد رجال الشرطة في دهشة: ماذا يحدث هنا؟ ... لماذا انسحب المهاجمون؟

أجابه شرطي آخر: لعلهم خشوا من وصول المزيد من قواتنا ...

قال الشرطي الأول: لا أظن ذلك؛ فقد خطَّطوا لعمليتهم جيدًا ... ووصول قوات إضافية إلينا سيستغرق أكثر من نصف ساعة ...

أكملَ في صوت مُتوتِّر: إنني أشعر أن شيئًا ما سيحدث حالًا ... فحاستي السادسة تدلني على ذلك ...

ولم يكن رجل الشرطة مخطئًا في ذلك على الإطلاق ... فمِن أعلى دوَّى أزيز طائرة هليكوبتر راحت تقترب ... ثم تساقط منها شيء بجوار السيارات المصفحة ...

صرخ رجال الشرطة وقد ظنوا أن الشيء المتساقط تجاههم قنبلة ... ولكن ذلك الشيء لم ينفجِر على الفور ... وتصاعد منه بعد لحظات دخانٌ كثيف قاتم اللون، انتشر في سرعة بالغة حول المكان.

وما إن شمَّ رجال الشرطة رائحة ذلك الشيء حتى أدركوا حقيقته على الفور ... وعرفوا في نفس الوقت لماذا أسرع المهاجمون بمغادرة المكان ... ولكن رجال الشرطة لم يتسع لهم

الوقت ليفعلوا نفس الشيء ... وتهاوَوا على الأرض فاقدي الوعي بعد أن فعل بهم المخدِّر مفعوله ... وبعد دقيقة كانت الرياح قد بدَّدت المخدِّر بعيدًا، أو قلَّلت من تأثيره ... فأسرع رجال العصابة المهاجمين نحو قافلة السيارات المُصفحة ... وأحضر أحدهم مدفعًا خاصًّا صوَّبه نحو ركن إحدى السيارات المُصفَّحة وأطلقه ... وخرج من المدفع الصغير شعاع ليزر حارق ... راح يشطر ركن السيارة المُصفَّحة كما لو كانت قطعةً من الحلوى. وتهاوى ظهر السيارة كاشفًا عن الآثار الثمينة بداخله ... فانتقل رجل العصابة إلى سيارة أخرى يشطر ظهرها عنها ... على حين اندفع بقية رجال العصابة ينقُلون صناديق الآثار إلى داخل طائرتَي الهليكوبتر الكبيرتَين اللتَين هبطتا على مقربة.

وخلال عشرين دقيقة كانت السيارات المُصفَّحة قد فرغت ممَّا كان بها ... واستقرَّت صناديق الآثار في بطن الطائرتَين الهليكوبتر الكبيرتَين، ومعهم رجال العصابة.

لوَّح «كارلوس فيفا» لرجاله من قلب طائرته الهليكوبتر الصغيرة سعيدًا ... وانطلقت طائرته نحو السماء ... وعلى الفور انطلقت الطائرتان الكبيرتان خلفه ...

وعندما جاءت سيارات رجال الشرطة إلى المكان ... لم يكن هناك ما تفعله ... ولا كان بإمكان زملائهم الفاقدي الوعي أن يخبروهم بما حدث ... ولا كان هناك أي أثر يدل على طبيعة أو شخصية العصابة التي نفَّذت العملية ... ثم تنبَّه أحد رجال الشرطة إلى شيء غريب ... فقد كانت أبواب السيارات المُصفَّحة الخلفية المشطورة بالليزر، قد رُسم بنفس الشعاع فوقها رسمٌ عجيب ...

رسم للعقرب!

صرخ رجل الشرطة في ذهول: يا إلهي! ... إنه العقرب! ... لقد فعلها «كارلوس فيفا» وهرب بغنيمته مرةً أخرى ... لقد هزَمنا هذا المجرم الجهنمي مرةً أخرى!

العقرب الجهنمي!

كان طلب رقم «صفر» للاجتماع بالشياطين الـ «١٣» عاجلًا جدًّا ... حتى إنه أيقظهم في منتصف الليل ... وخلال خمس عشرة دقيقةً كان الشياطين الـ «١٣» يأخذون أماكنهم داخل قاعة الاجتماعات الواسعة في مقرهم السري ... وران الصمت على القاعة، والشياطين يفكِّرون في تلك المهمة العاجلة التي استدعت إيقاظهم في ذلك الوقت المتأخِّر من الليل ... وجلس رقم «صفر» في مكانه يحيطه الصمت والظلام ... وتحدَّث قائلًا: مرحبًا بكم ... إني آسف لإيقاظكم في هذا الوقت المتأخر ... ولكنني اضطُررت إلى ذلك بسبب أهمية وخطورة المهمة التي أريدكم لأجلها ... وصمت لحظة، ثم أضاف: إنها مهمة قد لا تكون متعلقةً بأمن وطننا العربي ... ولكنها تتعلَّق بتاريخ وحضارة أحد أقطار وطننا الكبير ... مصر!

سأل «أحمد» مُقطِّبًا: هل المهمة متعلِّقة بالآثار المصرية القديمة؟

رقم «صفر»: لقد خمَّنتَ الحقيقة يا «أحمد» ... لعلكم تعرفون أن بعض الآثار المصرية الهامة كانت تطوف أمريكا، وكان من المفترض أن تعود مساء هذا اليوم إلى مصر ... ولكن ذلك لم يحدث ...

عثمان: هل تعرَّضت هذه الآثار للسرقة؟

رقم «صفر»: نعم ... برغم كل الحراسة الهائلة التي كانت تُحيط بتلك الآثار.

بو عمير: هل كانت هذه الآثار مؤمَّنًا عليها ضد السرقة؟

رقم «صفر»: وبماذا ستُفيد النقود؟ ... إن هذه الآثار لا تقدَّر بمال ... فهي بمثابة تجسيد وأثر حي لحضارة عاشت آلاف السنين ... فأي مال يمكنه تعويضها؟!

تساءلت «إلهام» في دهشة وغضب: وكيف حدثت تلك السرقة؟

انطلق رقم «صفر» يحكي للشياطين عن الطريقة التي تمَّت بها السرقة، وأنهى حديثه قائلًا: لقد تمكَّن اللصوص من نقل الآثار إلى بعض الطائرات الهليكوبتر واتجهوا بها إلى

مكان خاص، واستطاعوا الفرار بها لأن الشرطة الأمريكية اكتشفت وسيلتهم متأخرة، والطريقة التي تمَّت بها السرقة، والفخ الذي وقعت فيه الشرطة الأمريكية، رغم أن السلاح الجوي الأمريكي قام بمحاصرة أجواء البلاد، ومنع أية طائرة من مغادرتها.

خالد: ومع هذا، هل هرب اللصوص بالآثار خارج الولايات المتحدة الأمريكية؟

رقم «صفر»: أجل ... هذا ما حدث.

تساءل «أحمد»: ولكن من الذي قام بهذا العمل الإجرامي ... ولحساب من؟

أجاب رقم «صفر» في هدوء: لقد قام بتنفيذ هذه المهمة رجل يُدعى «كارلوس فيفا».

صاحت «إلهام»: «العقرب الجهنمي»؟

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا؛ فهو لقبه الذي اشتهر به في أوساط رجال العصابات؛ فقد أسمَوه «العقرب» لأنه يقتل بلا رحمة أو تمييز، ويسرع هاربًا ... أمَّا كلمة «الجهنمي» فلأنه دائمًا يخطِّط لأعماله في دهاء منقطع النظير، وسِجله حافل بأعمال الإرهاب والسرقة والقتل؛ فهو وعصابته كثيرًا ما يعملون لحساب بعض الجهات الخاصة أو العملاء الأثرياء في تنفيذ المهام الإجرامية.

أحمد: من العجب أن هذا المجرم الذي تطارده بلاد كثيرة لم نصطدم به من قبلُ أبدًا!

رقم «صفر»: هذا لأن نشاطه كان دائمًا بعيدًا عن منطقتنا العربية؛ ولهذا لم يكن من تخطيطنا الدخول معه في أي معركة.

أحمد: حسنًا ... لقد حان الوقت، وهذا الغبي اختار أن يدخل عش الدبابير بإرادته.

إلهام: ولحساب من يعمل هذا المجرم تلك المرة؟

رقم «صفر»: إنه لا يعمل لحساب أحد هذه المرة ... بل لحساب نفسه.

إلهام: إنني لا أفهم شيئًا.

رقم «صفر»: لقد بات معروفًا للكثيرين في أنحاء العالم أن «العقرب الجهنمي» قد قام بسرقة آثارنا القديمة، وأنها صارت في قبضته. ولا شك أنه سيتلقَّى عروضًا بالبيع تصل قيمتها إلى مئات الملايين من الدولارات لهذه الصفقة؛ فهناك من الأثرياء من هم مهتم بأن تكون في حوزته مثل تلك الآثار الرائعة. وهناك من المتاحف العالمية على استعداد لشراء هذه الآثار حتى ولو كانت مسروقة ... بل لست أُبالغ إذا قلت إن متحف «المتروبوليتان» نفسه سيعرض على «العقرب الجهنمي» شراء الآثار المسروقة ليُعيدها إلينا ثانية لأنه المسئول عن تأمينها.

أحمد: ولمن سيبيع المجرم الآثار؟

رقم «صفر»: إنه لن يبيعها لأحد ... ولن يتركها تخرج من قصره.

صمت لحظةً ليرى تأثير كلماته التي أثارت الدهشة على وجوه الشياطين، وأكمل رقم «صفر» في صوت هادئ قائلًا: لقد بدأ «كارلوس فيفا» حياة الجريمة وهو في الخامسة عشرة من عمره، عندما طُرد من مدرسته بسبب شغبه المستمر، فعمل في أحد متاحف «روما» كعامل نظافة ... وكانت أولى سرقاته لبعض الحُلي اليونانية القديمة؛ فقد استطاع إخفائها من المتحف، ثم باعها لأحد التجار الذي توصَّلت إليه الشرطة. وسُجن «كارلوس» بسبب ذلك عامَين. وداخل السجن تعرَّف على بعض رجال العصابات، وانضمَّ إلى عصابة المافيا في صقلية. وخلال أعوام قليلة اشتدَّ ساعده وصار من أفرادها. ثم نزح إلى أمريكا كعضو بارز في المافيا. وبعد عدة عمليات ناجحة استقلَّ عن المافيا، وكوَّن لنفسه عصابةً خاصة، وراح ينفِّذ بها عمليات سطو وقتل وإرهاب في كل أنحاء العالم، خاصةً أوروبا وأمريكا ... وصار من أخطر مجرمي الغرب، والمنافس الأول للمافيا ... ممَّا دفع الإنتربول الدولي لطلب رأسه بأي ثمن ... وفي كل مرة كان «العقرب الجهنمي» ينجو من القبض عليه بفضل خطته الجهنمية ... وصار يمتلك بلايين الدولارات، وقصورً فخمة في أماكن عديدة من العالم ... وصار اسمه يُثير ضجةً كبيرة ... وحادثة السطو على الآثار المصرية القديمة ليست إلا واحدةً من مجموع جرائمه العديدة ... والفائقة الجرأة.

قطَّبت «إلهام» جبينها قائلة: لقد بدأت أفهم الآن ... إن «كارلوس فيفا» يرغب في الاحتفاظ بالآثار المسروقة ... لنفسه.

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا يا «إلهام» ... فكما أن رجال الأعمال الكبار باتوا يشترون الأعمال الفنية الهامة، ويقتنونها مهما كلَّفتهم من أموال، مقابل إشباع رغباتهم في امتلاكها ... فنفس الشيء قد فعله «العقرب الجهنمي» هذه المرة ... فقد بدأ حياته بسرقة بعض الحُلي الأثرية التي سُجن بسببها ... وهو الآن يتحدَّى الجميع بسرقته لتلك المجموعة الأثرية الفريدة ليحتفظ بها في قصره، الذي لا أشك أنه صار مليئًا بأعمال فنية نادرة كلها مسروقة من مختلِف المتاحف العالمية.

قال رقم «صفر» في صوت عميق: إنه يمارس نوعًا من التفاخر بين أقرانه المجرمين الكبار ...

عثمان: لا أظن أنه سيعيش طويلًا ليتفاخر بما فعله.

أحمد: إذا كانت قصور وأماكن إقامة هذا المجرم معروفة ... فلماذا لم يُلقِ المسئولون القبض عليه؟

رقم «صفر»: إن «العقرب الجهنمي» ليس من الغباء لكي يقيم داخل المدن الكبيرة، والتي يطارده فيها رجال الشرطة. إن قصوره العديدة تنتشر في أماكن بعيدة تمامًا عن عيون رجال الشرطة، خاصةً في أوروبا وأمريكا؛ فهو يمتلك قصورًا عديدةً داخل الأحراش الأفريقية، وفي بعض الجزر المتناثرة في المحيط الهندي والأطلنطي، وفي مدن أمريكا اللاتينية المحاطة بالأحراش.

إلهام: يا له من داهية!

رقم «صفر»: معك حق تمامًا.

بو عمير: ولا شك أن «العقرب الجهنمي» سيحتفظ بالآثار المسروقة في أفضل قصر لديه، أو المكان الأقرب إلى قلبه، والأكثر أمنًا.

رقم «صفر»: لقد أصبتَ الحقيقة تمامًا يا «بو عمير»؛ فهذا المجرم يمتلك قصرًا أمام سواحل «هافانا»، على مسافة عشرين كيلومترًا من شاطئها ... والقصر أشبه بقلعة هائلة مقامة فوق رَبوة عالية، يكشف كل الأماكن حولها. هذه الربوة تنحدر إلى جزيرة مرجانية صغيرة، يحيط بها من الخارج عشرات الحراس، ويجوب شواطئها عشرات الزوارق الحربية المُسلَّحة السريعة التي تمتلكها «عصابة العقرب»، بحيث يستحيل اقتراب أي غريب من شاطئ الجزيرة ... دون أن تحصده مدافع الزوارق المُسلَّحة ... أو الطائرات الهليكوبتر التي تتخذ قاعدتها من سطح القلعة التي يقيم فيها «العقرب».

زبيدة: يا إلهي! ... إنه يمتلك جيشًا وليس عصابة ... ولديه إمكانات قتالية هائلة.

قيس: ولكن إذا كان قصر أو قلعة هذا المجرم قريبةً من شواطئ «هافانا»، فلماذا لم تحاول شرطتها القبض عليه؟

أجاب «أحمد»: لا شك أن هذا المجرم الداهية قد استطاع اختراق الشرطة هناك بأمواله وهداياه، فأغمضوا أعينهم عنه.

رقم «صفر»: هذا صحيح، بل الأكثر أن بعض رجال الشرطة هناك يقومون بحماية كاملة لهذا المجرم، خاصةً أنهم ليسوا من الوطنيين، وإنما هم جنود مرتزقة ... وفي أحيان كثيرة يتولَّون إخباره بأي عمل يهدف القبض عليه.

إلهام: إذن فسوف نخوض معركةً مزدوجة؛ ضد رجال الشرطة في «هافانا»، وضد «عصابة العقرب»!

رقم «صفر»: أرجو ألَّا يحدث ذلك، وإلا ستزداد الأخطار حولكم ... إنكم ستذهبون إلى «هافانا» باعتباركم مجموعةً من الطلبة العرب، ذاهبين في رحلة سياحية لـ «هافانا»، وهذا

سيتيح لكم ركوب الزوارق والسياحة والتجول في حرية ... وهناك عليكم وضع الخطط المناسبة لاقتحام قلعة «العقرب»، واستعادة الآثار المسروقة.

ألقى رقم «صفر» نظرةً على ورقةٍ أمامه وقال: سوف تسافر مجموعة مُكوَّنة من ستة أفراد منكم، هم: «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«قيس» و«زبيدة» و«هدى» ... وسوف تتزوَّدون بجوازات سفر وأوراق تفيد أنكم مجموعة من الطلبة العرب في رحلة سياحية إلى «هافانا»، وستقلع بكم طائرة خاصة بعد نصف ساعة إلى أقرب مطار، وهناك ستستقلُّون الطائرة المغادِرة إلى «هافانا»، وتُقيمون في فندق «النجمة الزرقاء».

أحمد: وإذا احتجنا إلى أسلحة هناك؟

رقم «صفر»: سوف يمدكم عميلي هناك بكل ما تحتاجونه من سلاح ... وسوف يتعرَّف هو عليكم في الوقت المناسب، وستكون جملة التعارف هي: النجوم الزرقاء لا تُبدِّد حُلكة الظلام. هل هناك أية أسئلة أخرى؟

هزَّ الشياطين رءوسهم بلا ... فقال رقم «صفر» وهو يطوي أوراقه: حفظكم الله.

غادر القاعة في خطوات رصينة، وبعد قليل كان الشياطين يغادرونها، وقد اشتعلت رءوسهم بالأفكار؛ فقد كانوا على يقين أن المعركة القادمة ... لن تكون سهلةً بأي حال من الأحوال.

إنها معركة ضد عقرب ... جهنمي!

العدو المجهول!

أنهى الشياطين إجراءاتهم الجمركية في سهولة، وتمنَّى لهم ضابط الجوازات إقامةً طيبة وهو يختم جوازات سفرهم، ويودِّعهم بابتسامة واسعة ... ولكن ما كاد الشياطين يغادرون المطار، حتى أسرع ضابط الجوازات إلى أقرب هاتف إليه، وراح يُملي فيه أوصاف الشياطين الستة وأسماءهم ...

وصل الشياطين الستة إلى فندق «النجمة الزرقاء» ... وكان هناك جناحَين كبيرَين محجوزَين بأسمائهم ... وبعد أن اغتسل الشياطين وبدَّلوا ملابسهم ... وقفوا في شرفة الفندق العريضة يطالعون مياه المحيط البالغة الزرقة، وهي تتكسَّر فوق الشاطئ، ناثرةً الزَّبَد والرذاذ فوق الراقدين على الشاطئ ... وقد تألَّق قرص الشمس في قلب السماء يرسل بأشعته الحارة إلى الأرض.

وبامتداد الشاطئ تناثرت الشاليهات والفنادق الصغيرة، تفصلها عن بعضها الحدائق والأشجار والنخيل. تنهَّدت «إلهام»، وقالت ضاحكة: يا له من مكان شاعري!

قالت «زبيدة»: إنها ليست المرة الأولى التي نقوم فيها بمهمة في هذا الشاطئ.

إلهام: ولكن هذا لا يمنع من أنني أستمتع في كل مرة أجد نفسي فيها في هذا المكان.

تساءل «عثمان»: تُرى متى سيحاول عميل رقم «صفر» الاتصال بنا؟

قيس: هذا متروك لتقديره ... ولعله ينتظر اللحظة المناسبة ليتعرَّف علينا ...

هدى: إذن علينا أن نوفِّر له هذه اللحظة المناسبة ... بأن نخرج إلى الشاطئ؛ فلعله لا يرغب في دخول الفندق حتى لا يلفت الأنظار إليه ...

إلهام: أنت على حق يا «هدى» ... هيا بنا ...

وارتدى الشياطين القبعات العريضة التي أحضروها معهم، وبدَوا في ملابسهم الرياضية وأحذيتهم الخفيفة كمجموعة مثالية من السياح.

سار الشياطين فوق الشاطئ يتأمَّلون الزوارق البخارية السريعة التي اندفعت تشق قلب الماء، وداخلها عدد من السياح يلهون في سعادة، على حين امتطى البعض الآخر ألواح الانزلاق فوق الأمواج، وراحوا يصارعون الأمواج بها.

وصل الشياطين إلى نهاية الشاطئ دون أن يتقدَّم أحد إليهم ... وعادوا ثانيةً وهم ينظرون حولهم في حذر ... ولكن عميل رقم «صفر» لم يظهر.

قال «عثمان»: إنني جائع.

إلهام: إن وجبة سمك الآن تبدو أشهى طعام في العالم.

زبيدة: وصيادو هذا الشاطئ يصطادون أفضل أنواع السمك.

وفي مطعم الفندق جلسوا لتناول وجبة من الأسماك اللذيذة، ولحم الأخطبوط الذي تذوَّقته «هدى» في حذر، ثم قالت مبتهجة: إنه لذيذ الطعم!

بعد أن أنهَوا طعامهم كانت حدة الشمس قد انكسرت، وقال «عثمان»: إننا لن ننتظر وصول عميل رقم «صفر» دون عمل ...

أحمد: وماذا تقترح؟

عثمان: يمكننا أن نراقب قصر هذا «العقرب الجهنمي» بالنظارات المقرِّبة من منطقة نائية على الشاطئ.

إلهام: إنها فكرة لا بأس بها ... وقد أحضرت معي نظارةً مقرِّبة على سبيل الاحتياط.

وغادر الشياطين الفندق إلى مكان عالٍ أمام سطح البحر مباشرة، وكان يرتفع حوالي عشرين مترًا عمَّا حوله دون أن يجذب إليه أحد الفضوليين.

وارتقى الشياطين المرتفَع وتمدَّدوا فوقه، وصوَّب «أحمد» النظارة المقرِّبة جهة الشمال، وراح يحرِّكها في بطء حتى توقَّف تمامًا، وقال: إنني أرى قصر «العقرب» ... إنه أشبه بقلعة أسطورية يحيطها عشرات الحُرَّاس من كل جانب.

عثمان: دعني أراها ...

أعطاه «أحمد» النظارة المقرِّبة ... وصوَّبها «عثمان» إلى ناحية القصر الذي ظهر على البعد، مبنيًّا فوق ربوة جزيرة بعيدة كأنه قصر خرافي من قصور الحواديت، بجدرانه الصخرية السميكة، وأبراجه العالية التي ظهرت بأعلاها فُوَّهات مدافع رشاشة ومدافع مضادة للطائرات ... على حين كانت هناك طائرتان هليكوبتر، تحلِّقان فوق المكان لتأمينه.

أمَّا الشاطئ الصخري للجزيرة فقد انتشر فوقه عددٌ من الحراس، بعضهم يجوبه داخل سيارات جيب مسلحة، والبعض الآخر على الأقدام ... وإلى الأمام على مسافة قريبة

من الشاطئ، ظهر عدد من الزوارق المسلَّحة لم يكن من شك في أن رُكَّابها من رجال العصابة أيضًا ...

قال «عثمان» في دهشة: إن المكان مُحصَّن تمامًا، ومن الصعب اختراقه.

أحمد: لقد اقتحمنا أماكن أصعب كثيرًا، ولكل مكان نقطة ضعف.

تبادل الشياطين النظارة المقربة ... وبعد أن انتهوا من المراقبة، تبادلوا النظرات.

ردَّ «عثمان» قائلًا: لم يعد هناك ما نفعله فوق هذا التل ... هيا بنا نعود إلى الفندق؛ فلعل عميل رقم «صفر» يبحث عنَّا هناك.

لكنه ما كاد ينهض حتى دوَّى صوت طلقات رصاص سريعة متتالية، فأسرع «أحمد» بجذب «عثمان» لأسفل، ومرقت الرصاصات فوق رأس «عثمان» بسنتيمترات قليلة ...

وهتفت «إلهام»: يبدو أننا نتعرَّض للهجوم!

أحمد: هذا لا شك فيه ... لا يتحرَّك أحدكم، وسوف أقوم بعملية التفاف من الخلف للتعرُّف على طبيعة المهاجم.

تحرَّك «أحمد» ببطء زاحفًا جهة اليسار، ولمح شخصًا قد توارى خلف بعض الصخور، وأصبعه فوق زناد مدفعه الرشاش ...

قفز «أحمد» نحو المجهول، وبضربة قوية أطاح به إلى الوراء، ولكن قبل أن يواصل «أحمد» هجومه دوَّت طلقات أخرى، فقفز «أحمد» نحو الصخور القريبة يحتمي بها، فظهر شخص آخر مُسلَّح. اندفع إليه الأول، وقفز الاثنان إلى سيارة جيب كانت واقفةً قريبًا، وغادرا بها المكان مسرعَين.

اندفع بقية الشياطين تجاه «أحمد»، وسألته «إلهام» في قلق: «أحمد» هل أصابك شيء؟

أحمد: لا ... لقد كان هناك مهاجمان، وتمكَّنا من الهرب.

عثمان: من تظنهما يا ترى؟

أحمد: لا شك أنهما رجال «العقرب الجهنمي»، فهيئتهما لا تدل على أنهما من رجال الشرطة.

زبيدة: إذن فقد انكشف وجودنا فوق الشاطئ.

أحمد: هذا لا شك فيه، والآن دعونا نغادر هذا المكان بسرعة قبل وصول رجال الشرطة بسبب طلقات الرصاص.

غادر الشياطين الستة المكان بسرعة عائدين إلى الفندق، في الوقت الذي كانت فيه مجموعة من سيارات الشرطة تتجه مسرعةً إلى التل القريب ...

داخل جناح الشياطين قال «قيس» قلقًا: إن انكشاف أمرنا يعني أننا صرنا في خطر شديد ... فلن يكون هذا الهجوم الوحيد ... ومن الممكن أن تتحرَّش بنا الشرطة، وتُلقي القبض علينا لأي سبب، ما دام أنها متعاونة مع «العقرب».

أحمد: عندك حق يا «قيس».

زبيدة: ما العمل إذن؟

عثمان: إن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع.

أحمد: وكيف نهجم دون سلاح؟ ... من الجنون والانتحار محاولة الاقتراب من قلعة هذا المجرم دون تسليح جيد.

قيس: ولكننا لا نستطيع الانتظار أكثر من ذلك ... إنني لا أدري لماذا لم يظهر عميل رقم «صفر» حتى الآن؟

أحمد: لا شك أنه أدرك أننا مكشوفون؛ ولذلك لم يحاول الاقتراب منا حتى لا ينكشف هو الآخر.

إلهام: ولكن باستطاعته الوصول إلينا بطريقة لا تلفت الانتباه ...

فجأةً طُرق الباب ... وجمد الشياطين في أماكنهم، وأشار إليهم «أحمد» ألَّا يتحرَّكوا. وتقدَّم جهة الباب وألقى نظرةً من العين السحرية، فشاهد أحد العاملين بخدمة الغرف واقفًا بالباب يحمل صينيةً فوقها بعض المشروبات الباردة.

التفت «أحمد» للشياطين متسائلًا: هل طلب أحدكم مشروبات باردة؟

هزَّ الشياطين رأسهم بلا ... وقد بدا الحذر واضحًا في عيونهم ... وتقلَّصت قبضة «أحمد» ... كان بلا سلاح ... ولكن قبضته كانت أفضل من أي سلاح آخر ... وفتح «أحمد» الباب بحركة مفاجئة وبيده الأخرى جذب عامل الخدمة إلى الداخل ... وفوجئ العامل بالحركة، وقبل أن ينطق بحرف كانت قبضة «أحمد» أسرع حتى طرحته على الأرض ... ثم عاجله بضربة أخرى فاصطدم بالحائط ...

قفز «قيس» نحوه ليشل حركته، ومدَّ «عثمان» يده في جيب العامل، فأخرج من مسدسًا صغيرًا صوَّبه إلى العامل ساخرًا، وقال له: مرحى ... لا أظن أن من ضمن خدمة النزلاء في هذا الفندق إطلاق الرصاص عليهم.

أمسكه من ياقته وهتف به في غضب: أخبرنا من الذي أرسلك، وماذا تعرفون عنا، وإلا أرسلناك إلى المكان الوحيد الذي تستحق البقاء فيه ... في الجحيم؟ مسح العامل خيط الدماء الرفيع الذي سال على ركن فمه، وقال متألمًا: النجوم الزرقاء لا تبدِّد حُلكة الظلام!

تبادل الشياطين النظرات المندهشة ... وهتفت «إلهام» غير مصدقة: أنت عميل رقم «صفر»! ... يا إلهي! ... كيف فاتنا أنك ستحاول التعرف علينا دون أن تثير الشك في حقيقتك؟

عثمان: وهذا المسدس ... لقد فهمنا الآن هذا الخطأ غير المقصود تمامًا.

قال الرجل: لا بأس ... إنكم بارعون جدًّا، وأكثر مهارةً ممَّا ظننت ... إنني أُدعى «خوان جيفارا».

أحضرت «إلهام» فوطةً صغيرة مسح بها «خوان» ركن فمه، وقال مقطِّبًا: إنكم في خطر؛ فقد اكتشف «العقرب الجهنمي» حقيقتكم بواسطة بعض تحرياته الخاصة العالية المستوى ... ولعله قد أصدر أمرًا بالتخلص منكم ...

أحمد: هذا صحيح، وقد حاول رجلان قتلنا فوق الشاطئ، ولقد ظننتك واحدًا منهم ...

خوان: ولهذا أرى أن تتركوا الشاطئ بسرعة وتختفوا لبعض الوقت، ثم تبدئون هجومكم على حين غِرة ...

تبادل الشياطين النظرات، وقال «أحمد»: ليس من عادتنا الهرب أو الاختفاء في أي ظروف، وإذا كان هؤلاء المجرمون قد بدءوا الهجوم، فسوف نرد عليهم بهجوم مضاد ... وفي أسرع وقت ...

قطَّب «خوان» حاجبَيه قائلًا: حسنًا ... ما دامت هذه هي رغبتكم، فلا يسعني إلا مساعدتكم ...

زبيدة: إننا بحاجة إلى زوارق سريعة مُسلَّحة، ومدافع رشاشة، وقنابل يدوية ...

خوان: إنها كلها جاهزة لديَّ ... ويمكنكم الحصول عليها خلال دقائق؛ فهناك شاليه مهجور في نهاية الشاطئ، تقبع أمامه الزوارق. أمَّا الأسلحة، فتوجد داخل الشاليه.

عثمان: هذا حسن ... هيا بنا ... فهذا أفضل وقت للهجوم ...

تحرَّك الشياطين ليغادروا الفندق ... وغادره «خوان» من مكان آخر غير بابه الرئيسي ... ومن الوراء، كانت بعض العيون الحذرة تراقبهم في سكون وتيقُّظ ... وقد اشتعلت باللهب كعيون الذئاب ... قبل أن تنقَضَّ على فرائسها.

معركة بحرية!

فجأةً جاء صوت من الخلف يقول في خشونة: توقفوا مكانكم!

التفت الشياطين فشاهدوا ما يزيد عن عشرةٍ من رجال الشرطة شاهرين أسلحتهم في وجوههم ... تبادل الشياطين النظرات المندهشة ... كان ظهور رجال الشرطة مفاجئًا ... وقد بدا واضحًا تورُّط رجال الشرطة فوق الشاطئ مع «العقرب الجهنمي» ... وأنه قد صدرت لهم الأوامر باعتقال الشياطين بأي ثمن ... حيث يجري التخلُّص منهم في صمت، أو تلفيق أي تهمة لهم تزج بهم في السجن سنين طويلة ...

سأل «أحمد» رجال الشرطة: ما هي التهمة التي تُوجِّهونها لنا؟

ردَّ أحد الرجال ساخرًا: يمكنكم أن تختاروا التهمة التي تشاءونها ... فالمهم إلقاء القبض عليكم.

بنفس اللهجة الساخرة قال «أحمد»: حسنًا ... إن التهمة التي نُفضِّلها هي مقاومة المرتشين أمثالكم ... وإعطاؤهم درسًا قاسيًا.

وما كاد «أحمد» يُنهي عبارته حتى طارت قبضته إلى الرجل، ثم طارت قدمه لتصيب رجلًا آخر ...

وفعل بقية الشياطين نفس الشيء، وبحركة مباغتة قفزوا في الهواء معًا كفريق للأكروبات. وصوَّبوا ضربات سريعةً متتالية إلى الرجال، ألقت بهم إلى الأرض. وقبل أن تمتد أيديهم إلى مسدساتهم، تكفَّلت أيدي الشياطين وأقدامهم بإقناعهم ألَّا يفعلوا ... وكان من نصيبهم أن أرسلوا أصحابهم إلى عالم الغيبوبة المؤلم.

التقط «أحمد» مسدس أحد الرجال، بينما فعل بقية الشياطين نفس الشيء.

أشار إليهم «خوان» من الظلام أن يتبعوه ... وفي نهاية الشاطئ شاهدوا زورقَين سريعَين فحصوهما بسرعة، وقال «أحمد» في إعجاب: إنهما زورقان رائعان لهما قدرة كبيرة على المناورة والانطلاق بسرعة بالغة ...

قال «عثمان»: سنأتي بالأسلحة من الداخل.

وأحضر الشياطين المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ... وخلال دقائق، كان الزورقان قد تسلَّحا بكل أنواع الأسلحة، وصارا على أُهبة الاستعداد للقتال.

فجأةً دوَّى هدير من الخلف، وظهر عدد من سيارات الشرطة المسلحة وهي تجوب الشاطئ باتجاه الشياطين، فقال «أحمد»: لا بد أن رجال المجموعة التي صرعناها قد أفاقوا، واستدعَوا المزيد من زملائهم.

قالت «إلهام»: لا وقت لدينا لإضاعته مع رجال مرتزقة كهؤلاء. هيا بنا.

قفز الشياطين الستة داخل الزورقَين، وانطلقوا بهما إلى قلب المحيط ... على حين اندفع رجال الشرطة نحو «خوان» الواقف أمام باب الكوخ المهجور يسألونه إن كان قد شاهد ستةً من الشباب العرب الهاربين من العدالة، فأشار «خوان» على لسانه بمعنى أنه أخرس ... وإلى عينَيه بمعنى أنه لا يرى، وإلى أذنيه بمعنى أنه لا يسمع.

انطلق الزورقان يشقان قلب الماء في الظلام ...

من بعيد ظهرت قلعة «العقرب الجهنمي» كأنها مارد عملاق يشق قلب الماء، ويرفع يدَيه ليمس وجه السحاب ... وعلى بُعد مسافة كيلومترَين، أوقف الشياطين زورقَيهم، وتساءل «عثمان»: هل نهاجم حُراس القلعة على الشاطئ؟

قال «أحمد» مُفكِّرًا: سوف يكشف هذا وجودنا سريعًا بسبب الزوارق التي تحرس الشاطئ!

قالت «إلهام»: إذن فلنتعامل مع هذه الزوارق مباشرة، ونقوم بإغراقها.

أحمد: لا أظن أن هذه المعركة ستكون في صالحنا؛ لأن العصابة تمتلك طائرتَي هليكوبتر، سوف تتدخَّلان في المعركة بكل تأكيد.

زبيدة: ولكننا لن نبقى مكاننا مكتوفي الأيدي.

فجاءً دوَّى هدير محركات زوارق على البعد، وهي تشق قلب الماء متجهةً صوب الشياطين ... وقال «أحمد»: لقد بدأت المعركة ... وسنخوضها بالرغم من كل شيء.

أدار «أحمد» مُحرِّك زورقه، وانطلق به بكل سرعته، على حين انطلق «عثمان» بالزورق الثاني في الاتجاه المعاكس لتشتيت المهاجمين ... وانقسمت الزوارق المهاجمة إلى فريقَين، كل منهما يتكون من ثلاثة زوارق.

دوَّى صوت طلقات الرصاص التي انهمرت كالمطر من كل اتجاه ... ودار «أحمد» بزورقه دورةً واسعة سريعة، وأصبح وجهًا لوجه أمام مهاجميه ... أطلق الرصاص من زورقه نحو مهاجميه ... وأصاب الرصاصُ خزان وقود أحد الزوارق، فانفجر في صوت مدوٍّ، وتناثر فوق سطح الماء.

رفعت «إلهام» أصابعها بعلامة النصر ... ثم ألقت بنفسها في قلب الزورق متحاشيةً طلقات الرصاص التي دوَّت فوق رأسها ... وبحركة مباغتة بارعة، التقط «أحمد» قنبلةً يدوية من جواره، وانطلق بزورقه تجاه زورقَي العصابة، وبدا كأنه سيصطدم بهما، لتنفجر الزوارق الثلاثة معًا.

جمدت «إلهام» في مكانها مشلولة، على حين صرخ رجال العصابة في الزورقَين خشية الاصطدام، ولكن «أحمد» نجح في اللحظة الأخيرة بأن يعتدل بقاربه ليمر بجانبه من بين فتحة ضيقة بين زورقَي العصابة، في الوقت الذي أسقط قنبلةً يدوية في أحد الزورقَين، وصدم الزورق الثالث في جانبه، فحطَّم هذا الجانب.

انفجرت القنبلة لتطيح بالزورق الثاني وتنثر حطامه فوق سطح الماء، على حين ترنَّح الزورق الثالث الذي تحطَّم جانبه، وأوشك على الغرق.

هتفت «زبيدة»: إنه عمل بارع يا «أحمد». أبدع مناورة بحرية شاهدتها في حياتي.

أحمد: فلنسرع لمساعدة زورق الشياطين الثاني.

كان زورق «عثمان» و«قيس» و«هدى» في مأزق بالفعل، وقد حاصرته زوارق العصابة الثلاثة، وراحت تُمطره بوابل من رصاصها ...

ألقى «عثمان» بقنبلة يدوية، ولكنها انفجرت بعيدًا ... وراحت الدائرة تضيق حول زورق الشياطين الثاني ... واندفع زورق «أحمد» ليمس أقرب الزوارق إليه، وصوَّبت «إلهام» مدفعها الرشاش نحو خزان وقوده ... فانفجر في صوت مدوٍّ.

على الفور، انتهز بقية الشياطين في الزورق الثاني الموقف، واندفع زورقهم يخترق الحصار، وطارت قنبلة من يد «هدى» لتسقط في قلب زورق آخر للعصابة، فتناثرت أشلاؤه فوق سطح الماء ...

أمَّا الزورق الأخير، فانطلق هاربًا تجاه القلعة بعد أن أدرك عدم جدوى القتال وحده ... ورفع «عثمان» يده مُلوِّحًا لبقية الشياطين في سعادة قائلًا: لقد انتصرنا.

ولكن أزيز الطائرتَين تعالى من بعيد، فقال «أحمد»: لا أظن أن المعركة قد انتهت بعد ...

ومن أعلى ظهرت طائرتا الهليكوبتر وهما تُسلِّطان كشافاتهما القوية نحو زورقَي الشياطين، ثم دوَّت طلقات الرصاص ... واندفع زورقا الشياطين هاربَين في مناورات سريعة ماهرة.

بينما انطلق صاروخ من إحدى الطائرتَين انفجر على مسافة قريبة من زورق «أحمد» وكاد يُغرقه، ثم انفجر صاروخ ثانٍ أمام زورق «عثمان»، فأطاح بجانبه.

وأوشك الزورق على الغرق، فاندفع «أحمد» بزورقه يلتقط بقية الشياطين ...

واقتربت إحدى طائرتَي العصابة وقد استعدَّت لتوجيه صاروخ آخر إلى زورق الشياطين ... ولكن إصبع «إلهام» تجمَّد فوق زناد مدفعها الرشاش، الذي صوَّبت فُوَّهته إلى خزان وقود الطائرة المهاجمة ... وأطلقت الطائرة صاروخها في نفس اللحظة التي أطلقت فيها «إلهام» الرصاص.

ودوَّى الانفجار الهائل.

انفجرت الطائرة حالما اخترقت الرصاصات خزان وقودها ... أمَّا الصاروخ فاصطدم بسطح الماء وانفجر فيه، بعد أن اندفع «أحمد» بعيدًا في اللحظة المناسبة ... وصاحت «زبيدة» في سعادة وهي تحتضن «إلهام»: لقد قمت بعمل رائع!

قال «أحمد»: ليس هذا وقت التهنئة.

وكان «أحمد» على حق لسببَين ... أولهما أن الطائرة الثانية قد عاودت هجومها على زورق الشياطين، وهي تطلق سيلًا من الرصاص في اتجاهه ...

أمَّا السبب الثاني فكان غير مُتوقَّع على الإطلاق ... فقد نفد وقود خزان الزورق الذي يستقلُّه الشياطين ...

وهكذا صاروا محاصرين في فخ قاتل ... في قلب المحيط الواسع.

خطة مضادة!

صاح «أحمد» في الشياطين: اقفزوا إلى قلب المحيط!

وقبل أن يُنهي عبارته كان قد بادر بإلقاء نفسه في ماء المحيط ... وعلى الفور قفز الشياطين خلفه غائصين في الماء ...

وقبل أن تمر ثانية واحدة دوَّى انفجار هائل بأعلى ... وشاهد الشياطين زورقهم وهو يتناثر إلى أشلاء فوق سطح الماء ...

ثم انطلق الرصاص يحصد سطح الماء من كل اتجاه ... وواصل الشياطين غوصهم مبتعدين عن المكان ... وما كادوا يرفعون رءوسهم طلبًا للهواء فوق الماء، حتى غمر المكانَ ضوء قوي مُسلَّط من كشاف كبير بالطائرة، أحال سطح الماء المظلم إلى نهار ...

عاود الشياطين غوصهم لتحاشي طلقات الرصاص المنهمرة من أعلى ... وأشار إليهم «أحمد» أن يسبحوا تجاه شاطئ «هافانا» البعيد، وأن يتحاشَوا الظهور فوق سطح الماء ... وأومأ بقية الشياطين برءوسهم بنعم وهم يتحاشَون لفت انتباه أسماك القرش البعيدة ... ولكن، حتى قلب الماء لم يكن مكانًا آمنًا ...

ليس بسبب أسماك القرش الكبيرة والمستعدة للتدخل إذا ما أحسَّت بالجوع أو اشتمت رائحة أي دماء ...

بل بسبب مجموعة الغواصين التي اندفعت من قلب الماء، مُسلَّحةً بالبنادق المائية، وهي تُصوِّبها تجاه الشياطين ... الذين لا يملكون أي سلاح.

ولم يكن الشياطين بحاجة إلى تعليمات بالتصرف ... كانوا قد تدرَّبوا على ذلك الموقف عشرات المرات من قبل ... وواجهوه أيضًا مرات عديدةً لا تحصى.

وعلى الفور، تفرق الشياطين على شكل مروحة في كل الاتجاهات لتشتيت انتباه المهاجمين، وتفتيت قوتهم المهاجمة.

واندفع الغواصون خلف الشياطين، وقد تفرَّقوا أيضًا ...

انطلق عددٌ من السهام تجاه الشياطين، ولكنهم تحاشَوها ببراعة ...

كان قلب الماء المظلم البارد في صالحهم ... وسرعان ما كانوا يختفون في قلب الماء ويكمنون بداخله وقد احتبست أنفاسهم.

ما إن اقترب أول الغواصين، حتى فوجئ بمن ينتزع خرطوم تنفُّسه ويمزِّقه ويستولي على سلاحه ويشل حركته.

بضربة هائلة تهاوى الغواص لأسفل ...

واقترب غواص ثانٍ ... وثالث ... وحدث لهم نفس الشيء ...

خلال دقيقتَين كان الغواصون بأكملهم يرقدون في قاع البحر ... والشياطين الستة قد تسلَّحوا بأسلحتهم واستولَوا على أنابيب الأكسجين منهم ...

رفع «عثمان» أصابعه بعلامة النصر ... وشرع مع بقية الشياطين يغوصون في قلب الماء، سابحين تجاه الشاطئ البعيد، دون أن يغامروا بالظهور فوق سطح الماء؛ خشيةً من رصاص طائرة العصابة ...

لكن الخطر كان لا يزال باقيًا برغم كل شي.

أحسَّ «أحمد» بالخطر ... فقد تيقَّظت حاسته السادسة فجأة، فرفع وجهه نحو سطح الماء، وشاهد شيئًا يسقط على مسافة قريبة.

كانت قنبلة أعماق ... وكان انفجارها كفيلًا بقتل من يصل إليه تأثيرها ...

على الفور أعطى «أحمد» زملاءه إشارةً مُحذِّرة سريعة، وغاصوا لأسفل بكل ما استطاعوا من قوة.

انفجرت القنبلة لتمزِّق كل ما وجدته في طريقها من أسماك ...

شعر الشياطين كأن دُوامةً قد أخذتهم فيها ... ولكن بُعدهم عن الانفجار قلَّل من تأثيره عليهم، فلم يُصابوا بأذًى ...

دوَّى انفجار ثانٍ، وثالث ... وبدا قلب المحيط كأنه قد تحوَّل إلى بركان يغلي ... وغمغم «أحمد» لنفسه في غيظ هائل: هؤلاء المجرمون! ... لقد صمَّموا على التخلُّص مِنَّا مهما كان الثمن، وبأية وسيلة.

أشار «عثمان» لـ «أحمد» متسائلًا عن الحل ... كان الهواء الباقي في أنابيب الأكسجين قليلًا، ولن يسمح لهم بالغوص أكثر من دقائق قليلة ... كان ظهورهم فوق سطح الماء كفيلًا بقتلهم بالرصاص المنهمر من طائرة العصابة.

من بعيد اندفعت أسماك القرش إلى المكان في توحُّش، وهي تهاجم كلَّ من تلقاه في طريقها، وقد أصابتها رائحة الدماء بالتوحُّش.

اندفعت إحدى أسماك القرش تهاجم «إلهام» التي فوجئت بها، ولكن طلقةً من بندقية «أحمد» أنقذتها في الوقت المناسب ...

هاجمت سمكة أخرى «عثمان»، ولكنه ناورها في مهارة، ثم أطلق سهمه في قلبها مباشرة ... وسبح الشياطين مبتعدين عن مكان أسماك القرش ... وراحوا يغوصون نحو الشاطئ البعيد وهم يبذلون جهدًا كبيرًا ...

لكنهم شاهدوا قطعًا كبيرة من اللحم الغارقة في الدماء تسقط من أعلى فوقهم ... ولم يكن من شك في أن رجال العصابة يُلقونها من الطائرة لكي يجتذبوا أسماك القرش لتفترس الشياطين بعد أن تُحاصرهم، وتسد عليهم طريق الهرب ...

كانت خطةً جهنمية ... ولم يكن من شك للشياطين في أن ذلك المجرم المدعو بـ «العقرب الجهنمي»، يمتلك بالفعل عقلًا إجراميًّا جهنميًّا ...

جزَّ «أحمد» على أسنانه في غضب هائل، وهمس لنفسه: حسنًا ... إننا نقبل التحدي ... وسوف نرد بمثله ...

أشار إلى زملائه بأن يُغيِّروا اتجاههم ... تجاه قلعة العقرب.

رمق الشياطينُ «أحمد» في دهشة وهم لا يدرون فيما يُفكِّر، ولكنه تقدَّمهم غائصًا نحو شاطئ الجزيرة البعيدة، فتبعوه في صمت ...

ثم رفعوا رءوسهم فوق سطح الماء ... كانت الهليكوبتر بعيدةً تنتظرهم على شاطئ «هافانا» ... على حين كانوا يقتربون من جزيرة «العقرب»، وليس بينهم وبين شاطئها غير كيلومترات قليلة.

سأل «عثمان» «أحمد» في دهشة: ماذا تنوي أن تفعل يا «أحمد»؟

أجابه «أحمد»: إذا كان هذا «العقرب» قد نجح بالحيلة في الحصول على الآثار المصرية القديمة، ويمارس معنا كل الأنواع الإجرامية في الهجوم لقتلنا ... فلماذا لا نلجأ إلى أسلوب الخداع أيضًا في تعاملنا معه؟

إلهام: هل لديك خطة معينة؟

أحمد: لا ... ولكنَّ وصولنا إلى شاطئ الجزيرة دون أن يُحس بنا رجال العصابة، ربما يُتيح لنا فرصة العمل في هدوء ... إننا نُخاطر، ولكن لا سبيل آخر أمامنا ... فرجال

الشرطة ينتظروننا على شاطئ «هافانا» ... وطائرة العصابة تنتظر ظهورنا فوق نفس الشاطئ لقتلنا ... والمكان الوحيد الذي لا يتوقَّع أحدٌ أننا قد نلجأ إليه هو جزيرة العصابة ... وليس أمامنا ملجأ آخر نذهب إليه.

عثمان: إننا نقبل التحدي ... هيا بنا ...

وشرع الشياطين يسبحون بكل قوتهم تجاه الشاطئ الغارق في الظلام، دون أن يصدر عنهم أي صوت ... وأخيرًا وصلوا الشاطئ المظلم، وكمنوا في سكون خلف بعض الصخور به ... وإلى الأمام، ظهر عددٌ من الحُراس يجوبون الشاطئ، حاملين مدافعهم الرشاشة، وهم يتطلَّعون إلى سطح المحيط في حذر ... ومن الخلف ظهر عددٌ آخر من رجال العصابة داخل سيارات جيب، وهم يجوبون شاطئ الجزيرة ...

اقترب أحد الحُراس من مكان الشياطين، فتأهَّب «عثمان» لملاقاته، ولكن «أحمد» أشار إليه بلغة الأصابع قائلًا: لا يا «عثمان» ... إن الاشتباك مع رجل العصابة ليس في صالحنا؛ فهم أكثر عددًا، ونحن بلا سلاح، ومن الأفضل لنا التريث قليلًا.

توقف الحارس على مسافة خطوات قليلة من مكان الشياطين ... ولفت انتباهَه بعضُ الخطوات المبتلة على الأرض، قادمة من الشاطئ ...

ظهرت الدهشة على وجه الحارس، واقترب من الصخرة التي يختبئ خلفها الشياطين، ومدَّ رأسه يستطلع هذا الأثر ...

في الحال حدث شيئان في لحظة واحدة؛ فقد طارت كرة «عثمان» المطاطية السوداء، واصطدمت بجبهة الحارس، فجعلته يترنَّح للخلف، ثم اندفعت قبضة «إلهام» إلى الرجل، فطار إلى الوراء، وسقط على الأرض الصخرية دون حراك.

أسرع الشياطين بجذب الحارس إليهم، والتقط «أحمد» سلاحه وهو يقول لـ «عثمان» و«إلهام»: لقد تصرَّفتما في اللحظة المناسبة.

أخفى الشياطين الحارس خلف الصخور، وارتدى «أحمد» ملابسه، وقال باسمًا: هذا هو الحل قد جاءنا من تلقاء نفسه.

عثمان: إذن علينا اصطياد المزيد من الحراس للحصول على ملابسهم وأسلحتهم.

هتفت «إلهام»: صه يا «عثمان»!

استمع الشياطين في حذر ... كان صوت قارب بخاري سريع يقترب ... ورسا القارب على شاطئ الجزيرة، وقفز منه رجل لم تظهر ملامحه جيدًا.

اقترب أحد الحراس من الرجل قائلًا: إن الزعيم «كارلوس» بانتظارك.

تحرَّك الرجل ليرتقي التل صاعدًا نحو القلعة ... وفي تلك اللحظة سقط ضوء إحدى بطاريات رجال العصابة على وجهه، وبانت ملامحه، وشهق الشياطين للمفاجأة.

كان الرجل هو «خوان جيفارا» ... عميل رقم «صفر»!

الخدعة!

تساءل «قيس» مذهولًا: هل عميل رقم «صفر» ... خائن، أو عميل مزدوج؟!

أجابه «أحمد»: لا أظن ذلك ... إن هذا الماكر هو أحد رجال «كارلوس فيفا» ... ولا شك في أن عميل رقم «صفر» الحقيقي سجين داخل القلعة ... أو لعله لاقى حتفه في مكان ما.

إلهام: وهذا معناه أن عميل رقم «صفر» كان مكشوفًا لرجال العصابة.

أحمد: هذا لا شك فيه، وقد قتلوه أو اختطفوه، ووضعوا «خوان» مكانه ... ولقد شككت في أمر هذا المجرم بالفعل عندما هاجَمَنا رجال الشرطة على الشاطئ بعد خروجنا من الفندق، وانصراف «خوان» في طريق مختلف. وكذلك عندما نفد وقود الزورق البخاري الذي كُنَّا نستقله سريعًا.

زبيدة: لا بد من تلقين هذا المجرم درسًا.

قالت «إلهام»: المهم أيضًا إنقاذ عميل رقم «صفر» إذا كان لا يزال حيًّا داخل القلعة.

عثمان: المهم الآن دخولنا القلعة.

أحمد: سوف نُقسِّم أنفسنا إلى فريقَين؛ الأول أنا و«عثمان» و«إلهام»، وستكون مهمتنا التسلُّل داخل القلعة والعثور على مكان عميل رقم «صفر» وإنقاذه، والاهتداء إلى مكان الآثار المسروقة داخل القلعة، ومحاولة نقلها خارجها ... أمَّا بقية الشياطين فستكون مهمتهم اصطياد الحُراس على الشاطئ واحدًا وراء الآخر، والاستيلاء على أسلحتهم؛ حتى لا نجد مقاومةً كبيرة عند محاولتنا مغادرة الجزيرة.

إلهام: بقي أن نحصل على ملابس رجال العصابة أنا و«عثمان» لنتمكَّن من التسلل بها إلى داخل القلعة.

قال «عثمان»: سأحصل عليها سريعًا ...

قفز من مكانه بخفة الفهد، واقترب من حارسَين كانا واقفَين يتحدَّثان ضاحكَين، عندما برز لهما «عثمان» من الخلف، فحدَّقا فيه لحظةً وقد أخذتهما المفاجأة ...

لم تستمرَّ المفاجأة طويلًا؛ لأن قبضة «عثمان» تكفَّلت بأحدهما وقدمه بالآخر، وحمل «عثمان» الحارسَين الفاقدَي الوعي إلى مكان الشياطين.

بعد دقيقة واحدة، كان «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» يصعدون التل بملابس الحراس وأسلحتهم دون أن يعترضهم أحد ... وقد بدوا على البعد الآخر كأنهم من رجال العصابة.

كان طريق الصعود لأعلى شاقًّا ... وتحاشى الشياطين الثلاثة الطريق الممهَّد حتى لا يتعرَّف عليهم أحد خلاله.

ظهرت القلعة أمامهم فوق سفح التل ... كانت جدرانها الصخرية قوية تتحمَّل حتى طلقات المدافع.

قال «عثمان» هامسًا: إنها أشبه بقلاع العصور الوسطى.

إلهام: هذا المجرم «كارلوس فيفا» هو رجل داهية حقًّا ...

عثمان: من العجيب أننا لم نقابله حتى الآن!

أحمد: لعله يرى فينا مجموعةً من المشاغبين الهواة؛ ولذلك أرسل برجاله لقتلنا دون أن يُكلِّف نفسه عناء التعامل معنا وجهًا لوجه ... ومن المؤكَّد أنه يظن أن رجاله قد تمكَّنوا من قتلنا بعد كل وسائل القتل التي استخدموها معنا.

إلهام: سوف تكون المفاجأة صاعقةً له عندما يرانا أحياء.

أحمد: وسوف تكون آخر المفاجآت بالنسبة له ... هيا بنا.

تسلَّل الثلاثة داخلين القلعة من إحدى فتحاتها ...

كانت حالة الأمن والحراسة داخل القلعة أقل كثيرًا منها خارجها ... وراح الشياطين الثلاثة يجوبون القلعة التي امتلأت بالسراديب والحجرات المتعدِّدة، التي كانت مُؤثَّثةً تأثيثًا فاخرًا، يدل على ثراءٍ لا حَدَّ له.

اندهش الشياطين عندما شاهدوا مئاتٍ من الأعمال الفنية العظيمة، التي أبدعها أعظم فناني العالم ... «رينوا» و«دافنشي» و«بيكاسو» و«فان جوخ»... وغيرهم.

كانت تلك الأعمال الفنية تساوي مئات الملايين من الدولارات ... ولكن بَحْث الشياطين داخل القلعة لم يُسفر عن شيء ... ولم يعثروا على المكان الذي أخفى فيه «العقرب» الآثار المصرية المسروقة.

توقَّف الشياطين الثلاثة أمام باب إحدى القاعات الفخمة ... كان الباب مواربًا، فاقترب منه الشياطين في حذر ... وأطلوا إلى الداخل فلمحوا «خوان جيفارا» وهو يرفع كأسًا إلى شفتَيه في تلذُّذ، وهو واقف أمام شخص كان جالسًا على مقعد وثير، وظهره إلى الشياطين.

قال «خوان» في سعادة: لقد قمنا بعمل بارع بخداع هؤلاء الشياطين ... إنهم مجموعة من السُّذَّج، تمكَّنت من خداعهم بسهولة بالغة.

أجاب الرجل الجالس وكان ظهره للشياطين: إن خططي لا تفشل أبدًا، وإلا ما كانوا قد أسمَوني «بالعقرب الجهنمي».

تبادل الشياطين النظرات ... واستدار «العقرب» بمقعده، وظهرت ملامحه للشياطين. كان وجهه رفيعًا حادًّا، وله عينان ذات نظرات مخيفة.

نهض «العقرب» وهو يقول: من المؤسف أن هؤلاء الشياطين باتوا يرقدون في بطون أسماك القرش؛ فقد كنت أرغب في الحصول عليهم أحياء لإحضارهم إلى قلعتي؛ لكي أقوم بالترحيب بهم على طريقتي الخاصة، وأُحوِّلهم لذوي العاهات المستديمة.

غمغمت «إلهام» في غضب: آه! إنه رجل متوحش.

ولكن «أحمد» أشار إليها أن تصمت؛ فلم يكن من صالحهم كشف وجودهم في تلك اللحظة. واصل «خوان» كلامه قائلًا: هل تنوي بيع الآثار المصرية أيها الزعيم؟

قطب «العقرب» حاجبَيه قائلًا في عدم رضًا: لقد بدأت تُكثر من الأسئلة يا «خوان»، وأنا لا أُحب من يصيبه الفضول.

خوان: لا تنسَ أنني نائبك وذراعك اليمنى أيها الزعيم، ومن حقي أن أعرف كل شيء.

غمغم «العقرب» قائلًا: هذا مؤسف ... مؤسف جدًّا!

تساءل «خوان» في دهشة: ماذا تقصد؟

ثم تقلَّصت ملامحه، وظهرت عليه علامات ألم شديد ... وسقط الكأس من يدَيه، وأمسك ببطنه في ألم، وصرخ في صوت متحشرج قائلًا: ماذا وضعت لي في هذه الكأس ... إنني ... إنني ...

سقط «خوان» على الأرض وهو يتلوَّى، وقد تجمَّع الزبد فوق شفتَيه ... وفي عينَيه نظرة ألم لا مثيل لها ...

وانتفض «خوان» انتفاضةً أخيرة ... ثم سكن جسده عن الحركة ... وابتسم «كارلوس» ساخرًا، وقال: أخبرتك أنني لا أحب الأسئلة الكثيرة ... خاصةً من رجالي ... فهي تُشير ببوادر غير مطمئنة ... ورفع كأسه تحيةً للرجل الميت قائلًا: في نخب روحك التي ستذهب إلى الجحيم ...

ضغط على زر بجواره، فاندفع عدد من الخدم حملوا جثة «خوان» دون سؤال، وذهبوا بها خارجين.

تراجع الشياطين للخلف يتبادلون النظرات الصامتة ... كان ما حدث أمامهم قد كشف لهم أن ذلك المجرم أكثر دهاءً وتوحشًا ممَّا ظنوا.

قال «أحمد» هامسًا: من الضروري العثور على ما نريد حالًا ... فسوف يطلع النهار بعد وقت، ولن يكون ذلك في صالحنا، وبقية الشياطين على الجزيرة في الخارج.

اقترب أحد الحُراس من مكان الشياطين دون أن ينتبه لوجودهم، وامتدَّت ذراع «أحمد» لتُطوِّقه من الخلف.

همس «أحمد» به: عليك أن تدلنا على الرجل الذي اختطفتموه إلى هذه القلعة.

ظهر الذعر على وجه رجل العصابة، وقال في صوت متحشرج: لو فعلت ذلك فسوف يقتلني الزعيم!

شدَّد «أحمد» ضغطه على الرجل، وقال له: وإذا لم تفعل فسوف أقتلك حالًا ... فما رأيك؟

حاول رجل العصابة المقاومة دون فائدة، وقال في صوت متحشرج: سوف أفعل ذلك ... ولكن لا تقتلني!

– حسنًا. هيا بنا.

صوَّب مدفعه الرشاش إليه قائلًا: تذكَّر ... إن أي محاولة للهرب أو ادعاء البطولة، فلن يكون ثمنها غير مائة رصاصة في قلبك!

أومأ الرجل بنعم في ذعر ... وقاد الشياطين لأسفل عبر مجموعة من السراديب انتهت إلى زنزانة كان بابها من الصلب، وقال رجل العصابة: إن الرجل المختطف مسجون في هذه الزنزانة.

إلهام: وأين مفاتيحها؟

– ليست معي.

أخرجت «إلهام» من شعرها بنسةً صغيرة، راحت تعالج بها قفل الباب الضخم ... وأخيرًا انفتح القفل، وظهر بداخل الزنزانة شاب ملقًى في رُكنها، وقد تمزَّقت ملابسه وظهرت عليه آثار التعذيب الشديد.

أشار الشياطين للشاب بالخروج، فتساءل في ذهول: من أنتم؟

أجابه «عثمان»: النجوم الزرقاء لا تُبدِّد حُلكة الظلام.

غمغم الشاب ذاهلًا: يا إلهي! ... لا أكاد أُصدِّق أنكم تمكَّنتم من الوصول إلى مكاني ... لقد اختطفني هؤلاء المجرمون قبل وصولكم إلى «هافانا» بساعات، وعرفت أنهم ينوون قتلكم ...

أحمد: لقد أراد الكثيرون ذلك، ولكن القدر لم يُمهلهم؛ لأننا تخلَّصنا منهم قبلها.

مدَّ عميل رقم «صفر» يده مصافحًا الشياطين، وهو يقول: إنني أُدعى «دانيال فابريس». وفجأةً تنبَّهت «إلهام» إلى شيء، فتلفَّتت حولها في دهشة بالغة، وقالت: أين ذهب رجل العصابة؟! ... لقد تمكَّن من الهرب أثناء انشغالنا في فتح الزنزانة.

أحمد: علينا إذن أن نسرع بمغادرة هذا المكان بسرعة قبل وصول عشرات الحراس إلينا ومحاصرتنا.

اندفع الشياطين يجرون إلى نهاية السرداب ... ولكنهم تراجعوا بسرعة عندما انهال عليهم الرصاص من مدخل السرداب مثل المطر.

أصبح الشياطين الثلاثة و«دانيال» داخل فخ يستحيل الهرب منه.

حرب الشياطين!

تدافع الشياطين إلى الوراء وهم يُطلقون سيلًا من الرصاص لتأمين تراجعهم ... وجاوبتهم طلقات الرصاص من الأمام، وتزايدت أعداد رجال العصابة.

قال «عثمان» في قلق: سوف ينفد رصاصنا سريعًا، فما العمل؟

تلفَّت «أحمد» حوله فلمح نافذةً صخرية عالية إلى اليسار، واقترب منها وأطل بأسفل، فشاهد هُوةً عميقة تنتهي عند سفح الجزيرة ... على حين كان يمتد بجوارها إفريز صاعد إلى سطح القلعة، شديد الخطورة.

قال «أحمد» للباقين: ليس أمامنا غير تسلُّق هذا الإفريز، بالرغم من خطورته ...

عثمان: هيا بنا ...

وشرعوا يتسلَّقون النافذة العالية، وخرجوا منها إلى الإفريز الملتوي الصاعد لأعلى ... وراحوا يسيرون في حذر حتى انتهَوا إلى سطح القلعة.

هناك كان عدد من الحُرَّاس بانتظارهم، فتكفَّل رصاص الشياطين بوقف مقاومتهم ... واستولى الشياطين و«دانيال» على أسلحة رجال العصابة ليُؤمِّنوا بها أنفسهم.

تساءلت «إلهام» في قلق: ما العمل الآن؟ ... إننا لا نزال محاصرين فوق القلعة.

وقعت عينا «أحمد» على صندوق للبارود في أحد الأركان، ولمعت الفكرة في عينَيه، وقال: سوف نقوم بعمل صغير ... ولكنه مؤثر.

اقترب من صندوق البارود يتفحَّصه ... كان بحالة جيدة، وقال للباقين: تراجعوا للوراء واحتموا بالصخور ... وصوَّب مدفعه الرشاش نحو صندوق البارود ... وأطلقه.

دوَّى انفجار هائل. تحوَّل صندوق البارود إلى قنبلة من الجحيم، وانفجر في دَوِي هائل ليطيح بسقفِ وسور القلعة وأحد أبراجها، فتهاوت لأسفل كما لو كانت قطعًا من الكرتونة ... واشتعلت النار في المكان.

تصاعد صراخ رجال العصابة من أسفل، والنار تندفع خلفهم، وتلتهم كل ما تجده في طريقها …

صاحت «إلهام» في قلق: سوف تلتهم النيران القلعة بكل ما فيها من لوحات فنية وأثرية نادرة، وكذلك الآثار المسروقة!

أحمد: لا أظن … فسوف يسارع رجال العصابة بحمل هذه الأشياء خارج القلعة خشيةً عليها، وانشغالهم ذلك سوف يمنعهم من مطاردتنا.

هتف «عثمان»: إنها خطة رائعة يا «أحمد».

قال «أحمد» باسمًا: إننا نرد بذلك بعضًا من الخطط الجهنمية التي لاقانا بها هذا المجرم «كارلوس فيفا». هيا بنا نهبط لأسفل.

فجأةً جاء صوت من الخلف يقول: إنني أعترف لكم بالبراعة حقًّا.

التفت الشياطين للوراء في دهشة، فشاهدوا «العقرب» واقفًا خلفهم شاهرًا مدفعًا رشاشًا في وجوههم … وكان من الواضح أنه صَعِد إلى سطح القلعة من خلال سُلَّم خلفي خفي لم ينتبه لوجوده الشياطين.

لوَّح «العقرب» بمدفعه أمام الشياطين و«دانيال» قائلًا: والآن ألقوا بأسلحتكم على الأرض.

أطاع الشياطين و«دانيال» في صمت … واقترب العقرب ساخرًا وهو يقول: لقد أمرت رجالي بإنقاذ الأعمال الفنية والآثار من الحريق كما توقَّعتم، فانشغلوا عنكم كما توقَّعتم … أمَّا أنا فلم يشغلني عنكم شيء … فهناك حساب يجب تصفيته، وقد حان أوان ذلك.

اقترب من أحد المدافع الباقية السليمة على سور القلعة وهو يضيف: إنني أعترف لكم بأنني لم أمنحكم قدر حقكم من المهارة … فقد كنت أظنكم مجموعةً من الهواة، ولكن وقت إصلاح ذلك الخطأ لم ينتهِ بعد. وصوَّب فُوَّهة المدفع نحو الشياطين و«دانيال»، وحشا المدفع بإحدى القنابل، وقال ساخرًا: لعلكم الآن عرفتم الطريقة التي أنوي التخلُّص بها منكم … فلا شك أن قذيفة مدفع تصيبكم لن تترك منكم أي أثر … بعكس طلقات الرصاص.

جمد الشياطين في أماكنهم … كان ذلك المجرم يبدو جادًّا فيما يقوله … ولم يكن هناك أي وقت للانتظار …

كان المدفع مُصوَّبًا تجاه الشياطين … والنار تقترب منهم بسرعة من الخلف …

عمل عقل «أحمد» بسرعة جبارة ... وبحركة مباغتة ركل بقدمه قطعة خشب مشتعلة. وطارت قطعة الخشب وسقطت إلى يسار «كارلوس»، الذي التفت مندهشًا وهو لا يدري سر ما فعله «أحمد».

أفاد ذلك في شيئَين ... أنه عطَّل «العقرب» عن إشعال فتيل المدفع ... وأن قطعة الخشب المشتعلة سقطت فوق قذيفة مدفع بجواره ...

قبل أن يتمكَّن العقرب من أن يفعل شيئًا ... انفجرت قذيفة المدفع في صوت مُدوٍّ ... فأطاحت «بالعقرب» من فوق سور القلعة إلى أسفل، فتهاوى فوق الصخور وقد تحطَّمت عظامه تمامًا.

صاح «أحمد»: هيا بنا ... فهذا المجرم يستحق ما جرى له.

وأسرع الجميع يهبطون لأسفل ... وشاهدوا رجال العصابة وهم ينقُلون اللوحات الفنية إلى خارج القلعة في جهد محموم، دون أن يدروا بما جرى لزعيمهم.

كادت «إلهام» تندفع للاشتباك معهم، ولكن «أحمد» أوقفها قائلًا: فلننتظر حتى ينتهوا من إخراج الآثار المصرية المسروقة من داخل القلعة ... فخلال ذلك سأفعل شيئًا هامًّا.

غاب «أحمد» في الداخل، وعاد بعد قليل وابتسامة نصر على وجهه.

عندما انتهى رجال العصابة من نقل الآثار إلى خارج القلعة، أشار «أحمد» للشياطين ببدء الهجوم.

اندفعت «إلهام» و«عثمان» و«دانيال» نحو رجال العصابة الذين فوجئوا بهم ... ومن الخلف اندفع «قيس» و«هدى» و«زبيدة» أيضًا.

لم تستمرَّ المعركة طويلًا. تمدَّد بعدها رجال العصابة على الشاطئ دون حراك ... تساءلت «إلهام» في دهشة: أين ذهب حُراس الشاطئ من رجال العصابة؟

قالت «زبيدة» ضاحكة: لقد تكفَّلنا بهم جميعًا، وهم يرقدون خلف الصخور مُقيَّدين وفاقدين الوعي.

إلهام: فلنسرع إلى زوارق العصابة لننقُل الآثار إليها.

لكن فجأةً ومن الأمام، ظهر عددٌ من زوارق رجال الشرطة وحرس الحدود، وراحوا يُمطرون شاطئ الجزيرة بالقنابل.

هتف «عثمان»: لنسرع بالاحتماء خلف الصخور.

ألقى الشياطين بأنفسهم خلف الصخور. قال «قيس» في قلق: لا بد أن المرتزقة المتعاونين مع «كارلوس» قد أدركوا أن الجزيرة تتعرَّض لهجوم، فجاءوا لمساعدة هذا المجرم.

أحمد: هذا ما توقَّعته؛ ولذلك تصرَّفت بالطريقة المناسبة.

تساءلت «إلهام»: ماذا تقصد يا «أحمد»؟

فجأةً دوَّى انفجار ... وتحوَّلت زوارق رجال العصابة إلى كتلة من اللهب، بعد أن دمَّرتها قذائف حرس الحدود.

قالت «زبيدة» ساخطة: لقد فقدنا آخر وسائل مغادرة هذه الجزيرة اللعينة ... سوف يُحاصر حرسُ الحدود والشرطة الجزيرة، ويقتحمونها بعد قليل.

ومن أعلى تعالى أزيز طائرة هليكوبتر ... كانت طائرة العصابة، فقالت «إلهام» في غيظ: لم يكن ينقصنا غير ذلك!

لكن «أحمد» صوَّب مدفعه الرشاش، وبقي مكانه ساكنًا ... وما إن اقتربت الطائرة وهي تستعد لإطلاق صواريخها، حتى عاجلها «أحمد» بدفعة من مدفعه الرشاش أصابت الطائرةَ وترنَّحت في الهواء لحظة، ثم تهاوت مندفعةً بأقصى سرعتها ساقطةً لأسفل ... وجاء سقوطها فوق زوارق حرس الحدود، فاشتعلت جميعها، وتحوَّلت إلى جحيم فوق سطح الماء ...

رفع «عثمان» يده بعلامة النصر قائلًا: تصويبة رائعة!

أشارت «إلهام» إلى الشاطئ قائلة: إن بقية زوارق المرتزقة تتراجع للوراء عائدةً إلى «هافانا».

قالت «زبيدة» ضاحكة: إنهم أصبحوا لا يستطيعون تحمُّل المزيد من الخسائر بعد ما لاقَوه على أيدينا.

تطلَّعت «هدى» حولها في قلق قائلة: ولكن، كيف سنغادر هذه الجزيرة ومعنا الآثار المسروقة؟

ألقى «أحمد» نظرةً إلى ساعته وقال: الآن ... وبعد ثوانٍ قليلة ...

لم يكد «أحمد» ينهي عبارته حتى شقَّ قلبَ الماء على مسافة عشرات الأمتار من شاطئ الجزيرة، غواصةٌ صغيرة كانت مجهولة المعالم.

تساءل «قيس» في دهشة بالغة: من أين أتت هذه الغواصة، ومن الذي أرسلها؟!

أجاب «أحمد» ضاحكًا: إن رقم «صفر» رجل دقيق في مواعيده.

تساءلت «هدى» في دهشة: أتعني أن رقم «صفر» هو الذي أرسل هذه الغواصة إلينا؟

أحمد: لقد اتصلتُ به من القلعة، وقد توقَّعت وجود جهاز إرسال قوي بداخلها يمتلكه «العقرب»، وطلبت من رقم «صفر» إرسال غواصة بسرعة لتنقُلنا مع الآثار إلى بلادنا.

إلهام: ولكن، كيف أمكن لرقم «صفر» إرسال غواصة بمثل هذه السرعة؟

أحمد: إن رقم «صفر» رجل عملي ... وقد توقَّع احتياجنا لمثل هذه الغواصة لنقل الآثار إلى مصر، دون أسئلة من رجال الجمارك في هذه البلاد؛ لذلك أرسل هذه الغواصة خلفنا، وبقيت قريبًا من الشاطئ تنتظر لحظة احتياجنا لها.

قالت «هدى» بإعجاب: يا له من رجل ... رقم «صفر»!

تأمَّلت «إلهام» «أحمد» في إعجاب قائلة: يا لك من شاب رائع!

بادلها «أحمد» الابتسام وهو يقول: لا وقت لدينا لإضاعته؛ فعلينا أن ننقُل الآثار المسروقة إلى الغواصة قبل مجيء ضباط الإنتربول الدولي للقبض على باقي عصابة «العقرب» ...

تساءلت «إلهام» في دهشة: ومن الذي استدعى الإنتربول؟

أجابها «أحمد» ضاحكًا: وهل ظننت أنني سأستدعي رجال شرطة «هافانا» للقبض على رجال العصابة؟ ... لقد اتصلت بالإنتربول طالبًا إرسال بعض ضُباطهم وقوة كبيرة للقبض على أفراد هذه العصابة ... وهم لن يصلوا قبل ساعة، سنكون خلالها قد تمكنا من نقل الآثار المسروقة إلى غواصتنا، ومغادرة المكان. أمَّا بقية اللوحات الفنية المسروقة من المتاحف الأخرى فسيتولَّى الإنتربول إعادتها إلى أصحابها، كما سيتولَّون إلقاء بقية رجال عصابة «العقرب» الأحياء في السجن مدى الحياة ...

تأمَّل بقيةُ الشياطين «أحمد» في دهشة بالغة ممتزجة بالإعجاب ... كان يبدو عمليًّا إلى أقصى حد، ولا يفوته شيء ...

وكان من المؤكَّد أنه يومًا ما ... سيكون هو الرجل الذي يحل محل رقم «صفر» ... عندما يحين أوان تقاعد هذا الأخير.

هنـــداوي